



دبابيس في المؤخرة العربية

بقلم: رائف محمد الويشي

15 نوفمبر 2009

أعتقد أن العامل الإيجابي الوحيد لمباراة مصر والجزائر التي جرت أمس السبت هو أنها كشفت عن مساحة الخرق الذي أصاب الوجدان العربي .. على مدى أسابيع مضت سخرت الدولتان هنا وهناك إمكاناتهما الإعلامية لشحن الشعبين المغلوبين في الأصل على ملعب الحياة اليومية والمصرية بنتيجة 10 - صفر ..

وصل الشحن بين البلدين إلى قمته عند قيام الجزائر باستدعاء السفير المصري يوم الخميس الماضي لتسليمه مذكرة احتجاج ردا على إلقاء حجارة على الأتوبيس الذي كان يقل البعثة الجزائرية عقب خروجها مساء الأربعاء من مطار القاهرة مما أسفر عن إصابة بعض أفراد البعثة الجزائرية ..

لن نخوض في تفسيرات الطرفين حول كون الحادث مدبر من قبل الجزائريين أم لا ، الواقع الذي على الأرض يقول أن الشحن الإعلامي الموجه هو الذي يولد الانفجار ..

ولأن الشعوب المستباحة والمستعبدة لا تجرأ على عقاب من أوصلها إلى تلك النتيجة ، فهي غالبا ما تصب شحنتها على نفسها .. يتمثل ذلك بانتشار الغوغائية في الشوارع وارتفاع مستوى الجريمة أو التنفيس في مباراة ما هنا أو هناك .. إنها شعوب منبثقة على وجوهها بأرضيات غرف الإنعاش ترفض تلقي العلاج لإنقاذها مما هي فيه ، هي شعوب لا تدرى ولا تريد أن تدرى من أوصلها إلى هذا الاستعباد والإذلال (راجع مقالنا في الأسبوع الماضي : مصر والجزائر وأفيون العرب) ..

الملفت للنظر هو أننا نسينا أن أغلب المصائب التي حلت بالأمة في العقود الأخيرة كانت من صنع قوى خارجية ، وإن كانت آلية التنفيذ من خلال عملاء الداخل .. تلك القوى التي تراقب كل صغيرة وكبيرة في المنطقة وتجمع مؤسساتها كافة البيانات وأدقها تفصيلا عما يدور في الأراضي العربية ..

لم يكن غريبا إذن أن يصدر معهد البحوث الإستراتيجية الدولي في بروكسيل والمقرب من حلف الناتو تقريرا في ظل هذا الشحن يوم الأربعاء الماضي يقول فيه أن الجيش المصري يحتل المرتبة الأولى إفريقيا بينما يحتل الجيش الجزائري المرتبة الثانية ..

لو صدر هذا التقرير في أوقات غير تلك التي يعيشها الشعبان لما كان هناك حاجة لكتابة هذا المقال ، لكن التقرير يبين وبصورة واضحة وسائل القوى الخارجية في صب الزيت على النار بين شعوب المنطقة لأغراض أصبحت واضحة حتى للتلاميذ في مدارسهم ..

دبوس المعهد المذكور والمقرب من الناتو يذكرنا بدبابيس مشابهة تم تسديدها إلى المؤخرة العربية في العقود الثلاثة الماضية وأدى بعضها إلى نتائج كارثية أخرجتنا من دائرة المنازل وفرضت علينا إستطباب الذل والهرولة ، نخص منها ما يلي :

*** كان هناك دبوس صنع في معامل الموساد في صيف عام 1977 وبعد أيام من تولى مناحم بيغن الحكم في وزارة الليكود**

الأولى .. وضع رئيس الوزراء الإسرائيلي أمام السادات - في اتصال مباشر غير معلن بينهما - تفاصيل ما زعم أنها خطة اغتيال للسادات خطط لها القذافي بتنفيذ من مجموعة فلسطينية .. تنبأ المصنعون في الموساد لهذا الدبوس أن تقدم مصر على أحد شينين أو كلاهما معا يصبان في مصلحة إسرائيل وهما :

الأول : أن يقوم الجيش المصري بشن هجمات على الجيش الليبي والذي كان صاعدا في تلك الفترة .. وقد حدث ذلك وقامت القوات الجوية المصرية بشن هجمات بالمقاتلات وطائرات الإبرار المحمولة بالقوات الخاصة على مراكز المدرعات الليبية .. النتيجة هي تدمير جزء من العتاد الحربي العربي ومقتل عدد من قوات الطرفين .. كان من الممكن أن يستمر هذا المسلسل عن طريق طرف ثالث يقوم بتفجيرات هنا وهناك كما يحدث الآن في العراق وباكستان ..

الثاني : تقديم " عربون ولاء " إسرائيلي لتشجيع السادات على التسريع في خطوات التطبيع والتي أظن أنه جرى الإعداد لها منذ أن تولى السادات الحكم في سبتمبر 1970 (راجع الحلقة الرابعة من دراسة حرب أكتوبر وضرورة لجان التحقيق المستقلة .. لكاتب المقال) ..

*** كان هناك دبوس ثاني من صنع الموساد أيضا وتم تنفيذه في عام 1978 وإن كان في بلد آخر وهو العراق ..** كان صوت الإمام الخميني قد عاد في الصعود وظهر في حينه الصدى الكبير له داخل إيران .. قدم الموساد اقتراحا سريعا إلى زميله الإيراني " السفاك " والذي تدرب أفراد في إسرائيل يقسم ظهر الإمام باغتيال ابنه ويده اليمنى مصطفى الخميني في مقرهما في النجف .. قامت عناصر مشتركة من الطرفين بالتنفيذ لكن السحر انقلب هذه المرة على الساحر وبصورة لم يتوقعها أعداء الشاه نفسه ..

مثل حادث مقتل مصطفى الخميني استيقاظا لمشاعر الإيرانيين وكان بمثابة القشة التي قسمت ظهر البعير .. التقط الإمام الخيط في يده سريعا وزاد في شرائط الكاسيت والتي كانت وقود الثورة في بيوت الإيرانيين .. كان أحد أشهر تلك الشرائط عقب مقتل ابنه مصطفى استهل فيه الإمام كلامه للشعب قائلا " نرفنا ما فيه الكفاية من الدموع ، الآن حان وقت العمل " ..

الملفت للنظر هنا أن الموساد عاد للشاه قبل رحيله عن إيران في عام 1979 وقدم له عرضا آخر بقتل الإمام الخميني في مقره الجديد خارج باريس ، رفض الشاه العرض بعد النتائج الكارثية التي سببها له عرضهم الأول ... عندئذ أدار الموساد البوصلة بـ 180 درجة وأرسل مبعوثا إلى باريس لمقابلة الإمام وقدم له عرضا بقتل الشاه ، لكن الإمام رفض تدخلهم فيما لا يعينهم ..

*** كان هناك ثالث ورابع دبوسين وهما يمثلان معا " الفتنة الكبرى " الثانية بعد الأولى التي كانت في صدر الإسلام ..** لقد صنع كل منهما في معامل وكالة المخابرات المركزية الـ C.I.A وكانت أرض العراق أيضا مسرحا لغرز هذين الدبوسين في جسد الأمة ، كما يلي :

الدبوس الثالث كان في العام 1980 ، كان متعدد الأهداف كما يلي :

تأديب الإيرانيين بسبب قيامهم باحتجاز أمريكيين يعملون في سفارتهم بطهران لمدة 444 يوم - إنعاش مصانع الأسلحة الغربية والتي كان الكساد قد أصابها - تجفيف منابع الموارد العربية التي تكونت من بيع البترول بتدمير اقتصاد دول المنطقة - الاشتراك في عقود إعادة تعميم ما دمرته الحرب - زرع أقدام ثابتة لأمريكا في المنطقة - تجربة نموذج " الفوضى الخلاقة " والتي كانت وليدة هذا الدبوس ..

جرى الإعداد للدبوس الثالث بتقديم معلومات كانت كلها مغلوطة لكل من صدام والقيادات العربية الخليجية وذلك كما يلي :

- أخبرت أمريكا صدام بأن إيران ستقدم يد العون لشبيعة العراق في انتفاضة يجرى الإعداد لها في طهران .. - أفتعت أمريكا صدام بأن اتفاقية الجزائر التي تم توقيعها بينه وبين شاه إيران في الجزائر في عام 1975 والتي قسمت شط العرب بين البلدين تمثل ظلما فادحا للعراق وأن أمريكا ستقف مع العراق بغرض إعادة حقوقه في هذا الشط .. - بنتت أمريكا الرعب في قلوب قيادات دول الخليج وهي دول تحكم عن طريق عائلات بتصوير الثورة الإيرانية على أنها تصديرية وبالتالي فعليهم الوقوف بجانب صدام في حربه القادمة مع إيران ، وقد ساعد أمريكا حينها ما كان يصدر من داخل إيران بضرورة تصدير الثورة ..

النتيجة الكارثية لهذا الدبوس على الأرض تمثلت في حرب ضروس بين البلدين ونتج عنها ما يلي :

مقتل مليون مسلم من الطرفين وجرح أكثر من مليونين ..
تدمير هائل لاقتصاد البلدين خصوصا والدول المجاورة على وجه العموم ..
تحطيم الوجدان الإسلامي وزرع الفتنة بين دولة وشعبه ..
إنعاش غير مسبوق لمصانع السلاح الغربي والسوفيتي التي كانت في اتفاق مسبق بينهما على عدم حسم الحرب ..
إنعاش كبير للشركات الأمريكية خصوصا والغربية بصفة عامة في عقود إعادة إعمار ما دمرته الحرب ..
موطأ قدم لأمريكا في المنطقة ..

الدبوس الرابع كان بعد انتهاء الحرب الإيرانية العراقية مباشرة وتحديدا في ديسمبر 1988 .. أقلق الأمريكيين كثيرا أن العراق لم يقم بتسريح الفرق التي أنشأها أثناء حربه مع إيران ، كان العراق قد دخل الحرب في سبتمبر 1980 مع إيران بعدد 12 فرقة وخرج منها في أغسطس 1988 بعدد 48 فرقة ..

أدرك صدام بعد انتهاء الحرب مصائب ومصادر الدبوس الثالث ، أخذ يمزجر ويردد بأن جيش القدس جاهز لتنفيذ مهامه ، كما تغيرت نبرة حديثه لدول الخليج بعد أن شعر بأنهم تأمروا عليه مع الأمريكيين بتوريطه في تلك الحرب .. كانت وسيلة منه بغرض امتصاص غضبة شعبه عليه بسبب كوارث حرب الثمان سنوات ..

رفض صدام في اجتماع مع دبلوماسيين أمريكيين في ديسمبر 1988 تسريح جيشه لانتهاء الحرب ، زاد على ذلك انصرافه من الجلسة وهو ما مثل إهانة شديدة لأمريكا .. نبه أحد الدبلوماسيين الأمريكيين أثناء خروجه مطرودا من الجلسة أحد زملائه العراقيين قائلا " أخشى أن يدفع العراق ثمنا باهظا لهذا التصرف " ..

لقد شعر الأمريكيون بأن صدام يريد أن يثار للدبوس الثالث .. كانوا يعلمون بأن نقطة ضعفهم هي في إسرائيل والعروش الخليجية .. زاد صدام في عناده بتهديده بأنه سيقرق نصف إسرائيل إذا هاجمته ، كانت تهديداته تخاطب الوجدان العربي دون أن يكون لها قدرات تترجمها على الأرض ، ربما ظن أنها ضرورية لتحذير إسرائيل بعدم تكرار ما فعلته في بغداد في يونيه 1980 .. هنا جاءت المرحلة التالية بضرورة الإسراع بدبوس رابع ..

جرى تسريب بيانات مغلوبة في ربيع 1990 من خلال صحيفة واشنطن بوست ومفادها بأن واشنطن قد زودت الكويت بأجهزة عالية التقنية تقوم بمص نصيب العراق من حقل البترول المشترك على الحدود مع العراق ويسمى حقل " مجنون " وهو يمثل أكبر حقل للبترول في العالم بمخزون يبلغ 21 بليون برميل ، ومن هنا جاءت تسميته بهذا الاسم ..

كما جرى الحديث في الإعلام الغربي عن بيانات مغلوبة مفادها أن الجيش العراقي هو رابع أقوى جيش في العالم ، وصدق صدام ما كان ينقل إليه من أجهزته التي كانت تخشى نقل الحقيقة له ..

بدأ خيط الصنارة في الاهتزاز وينبأ بأن الصيد قد ابتلع الطعم ، لكي يتم التأكد من ذلك قامت سفيرة أمريكا في العراق أبريل جلاسبي بزيارة صدام في يوليو 1990 وأخبرته بعدم وجود اتفاقية سرية للدفاع المشترك بين أمريكا والكويت ونقلت إلى الرئيس بوش الأب - الرئيس السابق لـ C.I.A - نتائج مشجعة بأن الدبوس قد اكتمل دخوله ..

دخل صدام الكويت في 2 أغسطس 1990 وجرى ما جرى من تمزيق للنفوس العربية والموارد بسبب ذلك ، وما زال الدبوس الرابع يقوم بمهامه في العراق ودول الجوار على أفضل ما يكون ، وربما أكثر كثيرا مما توقع صانعوه في واشنطن .. ونذكر من نتائجه ما يلي :

- احتلال العراق وتدميره موارد وزرع جذور الحرب الأهلية بين شعبه الذي عاش واحدا في أحلك الظروف ..
- وجود قواعد أمريكية دائمة بالمنطقة وأصبحت دول الخليج - التي كانت ترفضها سابقا - تستجدي وجودها ..
- أصبحت أمريكا هي الأخ الأكبر لدول المنطقة ، لا شيء يتم الآن إلا بموافقتها ..

فرضت أمريكا إسرائيل على العرب فرضا ، من يريد الحصول على الرضا الأمريكي فعليه أن يمر بإسرائيل أولا .. - فرض
الهيبة الأمريكية على دول المنطقة والتهديد بتكرار سيناريو العراق بها ..

*** في الوقت الذي يرى فيه المواطن العربي بأن هناك دبوسا كبيرا آخر تقوم أمريكا بإعداده وبمساعدة العرب أيضا ، لكنه سيخرج هذه المرة من إيران ، إلا أنه لا بد لنا أن نعترف أنه ليست كل الدبابيس من صنع خارجي .. يوجد الكثير منها من صنع داخلي وإن كان يبدأ صغيرا بحجم صانعه ثم يكبر بسند خارجي .. هناك ما يجري في لبنان واليمن والسودان وحدود الجزائر والمغرب وما بين الإخوة الأعداء في فلسطين ..**

إذن فإن ما نود توضيحه هنا هو أن الأمة العربية قد ابتليت بقيادات غير صالحة ، تبدوا جادة في مظهرها أمام شعوبها ، لكن الواقع على الأرض يؤكد أنها صبيانية وغبية بالإضافة إلى كونها طاغية وفسادة .. لقد ابتلعت تلك القيادات الكثير من الدبابيس والتي لا أبالغ إذا قلت أن نتائجها أخرجت الأمة العربية من دائرة الأمل إلى دوائر لا متناهية من اليأس بعد أن تأكدت الشعوب بأن " مالطة قد خربت " ..

من الممكن إذن لتقرير معهد البحوث الإستراتيجي الدولي في بروكسيل في يوم الأربعاء الماضي أن يكون دبوسا ولو في النفوس انتظارا لتنفيذه على الأرض ، فاللهم سلم ..

رائف محمد الويشي

سانت لويس - ميزوري - أمريكا

elwisheer@yahoo.com

تابع مقالات سابقة لكاتب المقال على مدونته " ثوار مصر " وعنوانها كما يلي :

www.thowarmisr.com